ثم لنتأمل ظاهرة اخرى شديدة الاهمية ، ظاهرة اعتدال الحركة الوطنية الفلسطينية الطويل ، بل نهجها المتعاون مع الانتداب الانكليزي · ينبغي ، بادىء بدء ، استبعاد التفسير الاخلاقوي المؤامراوي لظاهرة الاعتدال هذه ، لا لانه تفسير ساذج ويمس ، دون ان يقدم وقائع ملموسة ، نزاهة مواطنين يملكون اعتبارا لدى شعبهم فحسب ، بل ايضا لان مثل هذا التفسير يدين ، في النتيجة، كامل الحركة الوطنية الفلسطينية ، اذ يعتبر القيادات خونة والقواعد ماشية بشرية · والا كيف نفسر سير الحركة الوطنية هذه وراء عملاء او متعاونين مع الاستعمار ! واخيرا ، لان مجتمعا لا يمنع زعاماته من ان تخون هو مجتمع مهزوم بالقوة · والواقع ان اعتدالها انما ينبع من سببين رئيسيين : الاول هو ضعف او ضآلة الجسم السياسي الفلسطيني وانقسامه ، والثاني هو الوعي المشيخي الزائف المفوت الذي يملك وعيا جعله يخطيء الحلقة المركزية في احباط المشروع الصهيوني ، حلقة تتمثل في النضال لنقل مركز القرار في المسائل الحاسمة ، مسألة الهجرة مثلا ، الى اليد العربية ، اي بشكل عام اعتبار مطلب استقلال فلسطين المقدمة التي لا بد منها لاحباط المشروع الصهيوني · والواقع ان الذبذبات والتعرجات والتناقضات التي وسمت السياسات الانكليزية في فلسطين قد شجعت ميول الاعتدال لدى الحركة الوطنية الفلسطينية ، ناهيك عن دور الدول العربية الموالية لبريطانيا او المسايرة لها (الاردن والعراق الهاشميين ، السعودية) ، حيث توهمت ان الروح الايجابية المتعاونة مع سلطة الانتداب قد تدفعها الى مواقف تجهض المشروع الصهيوني · بيد ان السياسة الانكليزية ، بما هي سياسة حديثة ، سياسة واقعية ، ويحكمها بالتالي ميزان القوى · وهذا ما فات الحركة الوطنية الفلسطينية ان تفهمه ·

وقولنا ان اعتدال الحركة الوطنية الفلسطينية ووعيها المشيخي هما اللذان جعلاها تخطيء الحلقة المركزية في احباط المشروع الصهيوني لا يعني ان العكس صحيح ، اي ان التطرف كان سيحبط المشروع الصهيوني ، ذلك ان العرب كانوا يخسرون وهم في مواقف الاعتدال ، فكيف الامر لو انهم اصبحوا في مواقف التطرف دون ان تسندها قوة تجعلها تعبيرا صادقا عن ميزان القوى الفعلي (ناهيك عن ان امين الحسيني انتقل الى مواقع التطرف عندما اصبحت مشاريع التقسيم مطروحة بصورة جدية) · قيل بحق : الزائد اخ الناقص · والتطرف والاعتدال ليسا موقفين قابلين للتقييم بشكل منفصل عن الواقع العياني ، وبالتحديد عن نسبة القوى الفلسطينية ـ اليهودية · الاعتدال قد يكون في حالة ما حماقة وفي حالة اخرى حصافة · والتطرف قد يكون في حالة ما في منتهى الواقعية الثورية ، وقد يصبح في حالة اخرى هبلا ثوراويا · المهم تحليل وتقييم كل حالة على حدة ومعرفة نسبة القوى بالضبط ، ثم اتخاذ الموقف المناسب ·

لقد حمل الوعي العربي ، بما هو وعي امتثالي ومحافظ ، العامل الدولي